اللّه

ليس مسببًا للشرور

للقديس

باسيليوس الكبير

ترجمة عن اليونانية:

د. جورج عوض إبراهيم

Created in Master PDF Editor

اسم الكتاب : الله ليس مسببٌ للشرور

اسم المؤلف : القديس باسيليوس الكبير

اسم المترجم : د. جورج عوض إبراهيم

اسم الناشر georgeibrahim2257@yahoo.com

الطبعة الأولى : أكتوبر ٢٠١٢م

اسم المطبعة : جي سي سنتر، ١٤ ش محمود حافظ - سفير - مصر الجديدة - ت : ٢٦٣٣٨١٣٧

Created in Master PDF Editor

مثلث الرحمات

قداسة البابا شنودة الثالث

بابا الأسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

Created in Master PDF Editor

المحتويات

مقدمة ٧

الله ليس مسببٌ للشرور للقديس باسليوس الكبير ... ١٧

خطورة نسبة الشرور الى الله: ١٨

مَنْ ينسب الشر لله يتشبه بالوثنى: ١٩

هل الإنسان مسئول عن كل ما يصيبه من تجارب وضيقات؟ ٢٠

شرح لبعض الآيات التى قد يفهم منها أن الله مصدر للشرور: ٢٣

الكوارث الطبيعية تحدث لفائدة الإنسان : ٢٧

التجارب تخلص الإنسان من الخطايا: ٢٨

الشر ليس له جوهر: ٣٠

كيف يوجد الشر إن كنا نقول أن ليس له بداية ولا أنه خُلِق؟ ٣٢

الله لم يخلق الموت ولكن ٣٣

لماذا لم يمنحنا الله طبيعة لا تميل للخطية: ٣٤

الشيطان لم يصر مضادا للصلاح بطبيعته: ٣٥

ولكن لماذا يحاربنا نحن البشر؟ ٣٧

انحصار سيادة الشيطان بآلام مخلصنا الصالح: ٤١

Created in Master PDF Editor

مقدمة

يتسائل أحد الكُتَّاب قائلاً:

أليس اللّه كلي القدرة؟ وكلي الخير؟ لماذا لا يصلح من ذات خليقته حتى تصبح دليل عليه وعلى كماله؟ لماذا يتركها تعاني وتتألم وتموت جوعًا وجهلاً؟

ويستطرد قائلاً: البشر لم يخلقوا هذا العالم ولم يخلقوا أنفسهم. هم لا يستطيعون لأنفسهم فكاك مما هم فيه على مر العصور مهما إختلفت طرق حكمهم أو التحكم فيهم ومهما غيروا من أديان وأنبياء ورسل وكتب مقدسة وشعائر وتعاليم، بل ومهما تقدموا وغزوا الفضاء، وإخترعوا الكمبيوتر... هم لم يخلقوا أنفسهم وليس ذنبهم ما هم فيه وليس في إستطاعتهم الخلاص منه، ولو كانت وُجِدت الطريقة لذهبوا إليها بكل قوتهم - كما يقول الكاتب - حقًا يمر العالم بكثير من الضيقات والشدائد والكوارث، وبعضها يكون من القسوة والألم حتى أنه يُوصف

بأنه ضد الإنسانية، ضد حق الحياة الطبيعي، فالعالم مليء في كل أنحاءه بالجوع والمجاعات والعوز والحروب الإضطهادات والمذابح والأمراض والأسقام، أنه مليء بالظلم والكراهية وكل شيء شرير.

لقد تعرض القديس باسيليوس الكبير لهذه المسألة حين حدثت عدة نكبات في عصره وتسائل الناس في حيرة: هل الله مسببٌ للشرور؟ وأجاب القديس بكتابة مقالة تحمل نفس السؤال: هل الله مسببٌ للشرور، ونحاول الآن أن نرى محتوى هذه المقالة بإيجاز لنعرف كيف عالج هذا الموضوع.

ينصحنا القديس باسيليوس بأننا ينبغي علينا أن نضع في تصورنا هذا الأمر: إننا نحن خليقة الله الصالح وإننا محفوظون بواسطة الله الذي يدبر الأمور الصغيرة والكبيرة في حياتنا. ويستنتج بعد ذلك نتيجة هامة قائلاً: لذا فإننا لن نعاني شيئًا دون أن يكون لله إرادة في ذلك. ثم ينصحنا أيضًا بأن شيئًا مما نعاني منه لا يعتبر ضارًا لنا، بل يكون أفضل، لأننا عندما نتأمل في ذلك نستطيع أن نقترب من الله خالقنا. ويميز القديس باسيليوس بين النكبات التي نحن سببًا مباشرًا لها، وأخرى يسمح بها الله لفائدتنا:

"هناك من الشرور ما يتوقف علينا نحن مثل الظلم، والخلاعة، والإنحلال الخلقي والجُبن والحسد والقتل والدسائس وكل ما يترتب عليها من أفعال تلوث النفس التي خُلِقت بحسب صورة اللّه خالقنا. إن هذه الأفعال تشوه بالطبع جمال النفس".

ثم يستعرض تجارب أخرى تأتي من اللّه، قائلاً:

"عندما يأخذ اللّه المال من الذين يستخدمونه بطريقة سيئة، فإنه يريد أن يدمر - بهذه الطريقة - الأداة التي بها يظلمون الناس. وأحيانًا يتسبب اللّه في مرضٍ للذين يكون في صالحهم أن تتقيد أعضائهم ويلازمون فِراش المرض أفضل من أن يكونوا معافين وأحرار في إرتكاب الخطية. والموت يأتي إلى البشر في الوقت المناسب، أي عندما يصلون إلى نهاية حياتهم التي حددها حكم اللّه العادل منذ البداية، اللّه الذي قد رأى مسبقًا ما يفيد كل واحد منا. كذلك فإن المجاعات والسيول هي أيضًا نكبات عامة تأتي على المدن والأمم لكي توقف وتحجم فعل الشر المتفاقم".

يجب علينا لكي نفهم ما يقوله القديس باسيليوس أن تكون لنا قناعة وقبول لترتيب الأمور كما رتبها في مقالهِ، **فأولاً** علينا أن نؤمن بأننا خليقة اللّه، وأن هذا اللّه هو صالح. وهذا الإله هو ضابط الكل أي يدبر كل الأمور في

حياتنا سواء كانت صغيرة أم كبيرة. **ثانيًا** : علينا أن نعيد النظر في رؤيتنا للنكبات. فقد نحكم على أمر بأنه نكبة وكارثة لكن علينا أن نميز بين ما نصنعه بأنفسنا وكان في إمكاننا عدم فعله والأمور التي تبدو أنها بسماح من اللّه والتي نقرأ فيها رسالة اللّه لنا.

ولا ننسى أن هذا الكلام يوجهه القديس باسيليوس للمؤمنين. فهو هنا لا يناقش مسألة فلسفية وجدلية. بل هنا هو الراعي الحريص على رعيته والعارف لهموم ومشاكل مجتمعه. فالذي لا يؤمن بأن اللّه صالح وأنه أب يعتني به ويدبر أموره، لا يستطيع أن يفهم ما يقوله القديس باسيليوس بخصوص هذا الموضوع. وما يقوله القديس يعبر عن تعليم الكنيسة الذي يستند على الكتب المقدسة.

الإنسان مسئول مسئولية كاملة عن نكبات يعاني منها هو ومجتمعه مثل الظلم. فالإنسان عليه أن ينحاز ناحية العدل وإحترام حقوق الآخرين ولا يتطاول على ممتلكات غيره ولا يتفنن لكي يغتصب الحقوق ويجور على الفقراء والمهمشين والضعفاء بل عليه أن يجاهد في سبيل تحقيق العدالة ومحاربة كل أشكال الظلم. أيضًا الإنحلال الخلقي وإرتكاب الفحشاء من صنع

البشر. هذه نكبات من صنع البشر، وكان في إمكانهم عدم فعل هذه الشرور إلا أنهم إختاروا طريق الشر. والرسالة المسيحية لا تكتفي بأن تنصح البشر بعدم إرتكاب الشر بل تمنح بالمسيح إمكانية أن لا يفعل الشر، وهذا هو الجانب السلبي. أما الجانب الإيجابي لهذه الإمكانية هو فعل الصلاح والخير. هذه الإمكانية تُدعى في خطابنا المسيحي: النعمة المغيرة، التجديد، الميلاد الثاني. ففي المسيحية يمتلك الإنسان القدرة على فعل الخير والصلاح ورفض كل ما هو شر وغير إنساني.

ونرى أن المشكلة في هذه المقالة هو النوع الثاني من النكبات والتي يؤكد لنا القديس باسيليوس أنها تأتي من اللّه لفائدتنا. والقراءة السطحية تعطي إنطباعًا بأن الزلازل والبراكين وكذلك الأمراض وبعض النكبات هي من اللّه، وبالتالي فاللّه مسببٌ للشرور. لكن القديس باسيليوس يشرح في نفس المقالة ما قصده من هذا التصنيف ضاربًا لنا مثالاً رائعة نراه في حياتنا اليومية: "مثلما نصف الطبيب بأنه محسن وكريم حتى لو تسبب في إيلام الجسد أو النفس (لأنه يحارب المرض وليس المريض)، هكذا اللّه هو صالح يدبر الخلاص من خلال محصلة من العقوبات. ونحن

لا نتهم الطبيب بأي إتهام عندما يقوم ببتر جزء من أعضاء الجسد أو يكوي آخر، بل نعطيه أجرًا وندعوه مخلصًا لأنه يوقف المرض عندما يظهر في جزء صغير من الجسد قبل أن ينتشر في كل الجسد. ولكنك عندما ترى مدينة تنهار على ساكنيها بسبب زلزال، أو سفينة تتكسر وتغرق في البحر مع كل ركابها، لا تتردد في التجديف على الله الطبيب الحقيقي والمخلص" ويستمر قائلاً: "فكما أن الطبيب ليس هو السبب في إجراء الجراحة أو الكي، بل المرض نفسه، هكذا فالخطايا هي التي تسبب دمار المدن، وليس الله المنزه عن أي إتهام".

وقد يتساءل أحد متعجبًا: أليس هذا التفسير يزيح المسئولية عن الإنسان بخصوص حدوث الزلازل وكذلك غرق سفينة أو إحتراق مبنى أو حوادث الطرق، طالما هي من الله. الإجابة: لا، لأنك لم تفهم جيدًا ما يقوله القديس باسيليوس. إرجع إلى مَثَلْ الطبيب لكي تدرك جيدًا تفسيره. الطبيب ليس هو السبب في حدوث المرض، أي الله ليس هو السبب في حدوث هذه الكوارث بل الإنسان حين يرتكب الخطايا. فالنتيجة الطبيعية لإهمال عوامل الأمان في سفينة تبحر هي الغرق. ما هي مسئولية الله في ذلك، أليس على الإنسان

Created in Master PDF Editor

أن يكون حريصًا على تزويد السفينة بكل الأشياء التي تجعلها آمنة وهي تبحر، أيضًا أليس عليه لو حدثت وغرقت هذه السفينة لسبب خارج عن سيطرته مثل العواصف الفجائية أو ما شابه ذلك أن يكون لديه قوارب نجاة وسترات نجاة وجهاز يصدر إشارات إستغاثة. عليه أن يفعل ما في إستطاعته. أليس التراخي والإهمال والتواكل هي خطايا من فعل الإنسان. وبالرغم من أننا نقر بمسئولية الإنسان وبأننا ننادي بالحرص على معرفة وتطبيق وسائل علمية حديثة في كافة مجالات حياتنا لأنها جزء من مهام الإنسان المبدع والمفكر والمخلوق بحسب صورة الله في السيادة والإبداع والتفكير والإنحياز للخير والصلاح، إلا أنه حين تحدث مثل هذه الكوارث - ويسمح بها الله لإحترامه لحرية الإنسان ولأنه ليس هو الكائن الذي يتدخل في اللحظة الأخيرة عنوةً مثل إله الأساطير لكي يعطي حلاً لكل ما يواجهه الإنسان، بل الإله الذي نعبده لا يغتصب شيئًا عنوةً بل يحترم حريتنا - يحول كل شيء لفائدتنا. هذا ما يريد أن يخبرنا عنه القديس باسيليوس أن مثل هذه الكوارث تأتي من الله أي بسماح منه، إذ لا يتدخل عنوةً لإيقافها بل يترك النتيجة الطبيعية لأفعال الإنسان يواجهها الإنسان بنفسه ويتحمل

مسئولية أفعاله. لكن اللّه يدبر كل الأمور، بمعنى أنه يحول كل صغيرة وكبيرة يواجهها الإنسان لصالح الإنسان. وهذا الأمر يتطلب من الإنسان أن يثق في صلاح اللّه، مثلما يثق في الطبيب الذي يسمح ببتر عضو من أعضاءه لكي يشفي بقية الأعضاء. فالطبيب لم يكن مسببٌ للمرض بل قام بدور الشافي لجسم إعتل بالفعل. هكذا اللّه مدبر هذا الكون يترك الإنسان يواجه نتائج أفعاله أيًا كانت هذه الأفعال ولكن تَدَخُل اللّه ينحصر في جعل هذه النتائج لفائدة الإنسان. وقد يتسائل أحد: هل الزلازل والكوارث الطبيعية هي من نتائج فعل الإنسان؟ نقول نعم لأن الكتاب يعلمنا بأنه بسقوط الإنسان وتنصله عن دوره الإعتنائي بالكون تسبب في إصابة الخليقة بتشوهات كثيرة. فهي تئن وتتمخض إلى الآن جراء أفعال الإنسان مثل إهدار الموارد الطبيعية لفائدته دون مراعاة البيئة المحيطة، التفجيرات النووية التي تحدث في باطن الأرض، التلوث البيئي المستمر بفعل الإنسان. كل هذا يجلب كوارث ويخترق النظام والتوازن الطبيعي. إلا أن نعمة اللّه تسند الكون وتحول النتائج الوخيمة إلى فائدة الإنسان. وهناك عبارة رائعة في القداس الغريغوري تلخص هذه الحقيقة: "حولت ليَّ العقوبة خلاصًا".

هذه الرؤية ـ كما قلنا ـ هي رؤية الأبناء تجاه الأب الحنون الذي يحب أبناءه، الواثقون في صلاحه ومحبته. أما الذين لا يؤمنون بهذا المحب تظل بالنسبة لهم الكوارث والنكبات والشرور والأمراض معضلة يصعب البحث عن إجابة لها.

نحن هنا لا نتبنى رؤية دينية ضيقة لتسهيل تفسير مشاكلنا وهمومنا التي نواجهها بل رؤية تؤمن بالله والإنسان. تؤمن بالإله المحب والراعي الصالح وضابط الكل والذي يسعى لتحرير الإنسان من ضعفاته ويمنح للإنسان نعمة تجعله يحيا حياة كريمة غير مكبلة بقيود الضعف واليأس والخنوع ، بل على النقيض هذه النعمة تعطيه القدرة أن يحيا كإنسان يقوم بدوره الفعال تجاه الكون وأخيه في الإنسانية والمجتمع. إنسان يتسلح بكل الإمكانيات التي أودعها الله فيه ليُفعِّلها ويرتقي بنفسه وبالآخرين. لكن هذا الرقي والتقدم ليس بإنتهاج أساليب وتبني مفاهيم فيها يُستخدم البشر وتهدر كرامتهم. بل بأسلوب يكون الإنسان في مكانة عظيمة تليق به كمخلوق إلهي.

قد تمت الترجمة عن اليونانية من سلسلة نصوص الآباء ΕΠΕ7، 87-123 وهذا النص موجود أيضاً في PG31، 329-353

Created in Master PDF Editor

اللّٰه ليس مسببًا للشرور

للقديس باسليوس الكبير

إستخدم داود النبى والمرنم المستنير بالروح القدس طرقا شتى فى تعليمنا. تارة يحكي لنا عن آلامه وشجاعته التى مكنته من تحمل مواقف كثيرة تاركًا لنا من خلال شخصه مثالاً يعلمنا الصبر، مثلما قال: " يارب ما أكثر مضايقى. كثيرون قائمون على " (مز٣:١). وتارة أخرى يقدم لنا داود صلاح اللّٰه وسرعته فى المعونة التى يمنحها لأولئك الذين يطلبونه حقًا، عندما يقول " فاعلموا أن الرب قد ميز تقية. الرب يسمع عندما أدعوه " (مز٤:٢). وهذه الأقوال هى نفسها التى قالها النبي إشعياء: " حينئذ تدعو فيجيب الرب تستغيث فيقول هاآنذا " (إش٥٨:٩) أيضًا يصلي داود النبي الى اللّٰه بطِلبات حاره لكي يعلمنا بطريقة صحيحة كيف يجعل الخطاة اللّٰه عطوفا نحوهم بتوسلاتهم: "يارب لا توبخنى بغضبك ولا تؤدبنى بغيظك" (مز٦:١) ويقول فى المزمور الثالث عشر: " إلى متى يارب تنسانى كل النسيان " لكي

Created in Master PDF Editor

يعبر عن عتابه اللّه فى شكل استفهام ويعلمنا من هذا المزمور ألا نترك أنفسنا للحزن والضيق ونحن ننتظر صلاح اللّه نحونا، وعلينا أن نعرف أن اللّه يسلمنا إلى الضيقات والتجارب بحسب قياس ودرجة إيمان كل واحد منا.

خطورة نسبة الشرور الى اللّه:

وبعدما قال داود "إلى متى يارب تتسانى كل النسيان"، "حتى متى تحجب وجهك عني" (مز١٢:٢) ينتقل مباشرةً الى شرور الوثنيين، غير المؤمنين الذين عندما يواجهون صعوبة صغيرة فى الحياة لا يستطيعون أن يتحملوا ظروف الأحداث الأكثر صعوبة ويبدأوا يشكوا بعقولهم ما إذا كان اللّه موجودًا ويعتني بكل الأمور وأنه يجازي كل واحد بحسب أعماله وعندما يرون أنفسهم مستمرين فى هذه الظروف المؤلمة يثبتون داخلهم التعاليم الشريره ويقتنعون فى قلوبهم بالرأي القائل بأنه لا يوجد إله: " قال الجاهل فى قلبه ليس إله " (مز١٤:١). وطالما أن هذا الجاهل يضع فى قلبه هذا الأمر فإنه يفعل أى خطية بدون تردد لأنه إن لم يوجد اللّه الذى يرى كل الأمور، إن لم يوجد اللّه الذى يجازي كل واحد حسب أعماله إذًا فما الذى يمنع أن نظلم الفقير ونتسلط عليه ونقتل الأيتام، ولا نتردد فى إبادة الأرملة

والغريب الذى أراد أن يعيش بيننا ، ونتجرأ على فعل أي عمل سخيف ولا مانع أن نتلوث بالشهوات النجسة والقذرة وبكل الرغبات المتوحشة؟ لذلك وكنتيجة للإعتقاد بعدم وجود الله يقول المرنم: " فسدوا ورجسوا بأفعالهم " (مز١٤ :١). لأنه ليس من الممكن أن ينحرفوا هكذا عن الطريق المستقيم إن لم تكن نفوسهم قد ضعفت بمرض نسيان الله.

إننى أتساءل: كيف سُلِم الوثنيون " إلى ذهن مرفوض ليفعلوا ما لا يليق" (رو١ :٢٨). ألم يُسلموا أنفسهم لأنهم قالوا: "لا يوجد إله"؟ كيف وقعوا فى " أهواء الهوان لإن إناثهم استبدلن الاستعمال الطبيعي بالذى على خلاف الطبيعة. وكذلك الذكور أيضًا تاركين استعمال الأنثي الطبيعى إشتعلوا بشهوتهم بعضهم لبعض فاعلين الفحشاء ذكورا بذكور " (رو١ :٢٦-٢٧). ألم يُسلموا أنفسهم بسبب أنهم " أبدلوا مجد الله الذى لا يفنى بشبه صورة الإنسان الذى يفنى والطيور والدواب والزحافات "؟ (رو١ :٢٣).

مِنْ ينسب الشر لله يتشبه بالوثنى:

حسنا مَنْ يقول ليس إله هو الذى لا يملك عقلا ولا حكمة، كذلك مَنْ يقول إن الله مسبب

للشرور هو شبيه به. إنى أعتقد أن خطية الإثنين واحدة، لأن الأول والثاني ينكران اللّه الصالح. فالأول يقول لا يوجد إله والآخر يقول أن اللّه ليس صالحاً لأنه لو أن اللّه هو مسبب للشرور فهذا يعنى أن اللّه ليس صالحًا، إذًا هناك انكار للّه من كلا الجانبين. يتسائلون من أين تأتى الأمراض؟ من أين هذه الميتات المبكرة؟ من أين الدمار العظيم الذى يلحق بالمدن؟ من أين العواصف؟ من أين الأوبئة؟ إن هذه الأمور تعتبر - في نظرهم - بالطبع شرورًا، وكلها من أعمال اللّه ويتمادوا فى ذلك بقولهم مَنْ هو الآخر الذي يمكننا أن نتهمه بإرتكاب هذه الحوادث إلا اللّه؟.

تعال الآن، إذًا، لأننا قد أدخلنا أنفسنا فى موضوع يتحدث عنه كثيرون وقيل فيه كلام كثير، وحيث أننا إنشغلنا بهذه المسألة بالتفصيل دعنا نحاول أن نطرح شرحًا واضحًا ووافيًا لها.

هل الإنسان مسئول عن كل ما يصيبه من تجارب وضيقات؟

حسنًا ينبغى أن نضع فى تصورنا هذا الأمر: إننا نحن خليقة اللّه الصالح وإننا محفوظون بواسطة اللّه الذى يدبر أمورنا الصغيرة والكبيرة فى حياتنا، لذا لن نعاني شيئًا بدون أن يكون للّه إرادة فى ذلك. أيضًا ليس شيئًا مما نعانى منه يعتبر

ضارًا لنا بل يكون أفضل لنا لأننا عندما نتأمل فى ذلك نستطيع أن نقترب من الله خالقنا.

فالموت على سبيل المثال يأتي من قِبل الله بالتأكيد، ولكنه ليس شر، بل يصبح شرًا فقط فى حالة موت الخاطئ. والموت بالنسبة للخاطيء الذى يرحل عن هذا العالم يعتبر بداية الجحيم فى الهاوية. وأيضًا ما يقابله الانسان من آلام في الهاوية لا يكون الله المتسبب فيها بل الإنسان نفسه لأنه كان في مقدرته وسلطته أن يختار بين فِعل الخطية أو رفضها وكان لدى الخطاة إمكانية الابتعاد عن فِعل الشر وتجنب الإصابة بأية نكبات. ولكنهم إنخدعوا بطعم اللذة وانقادوا إلى الخطية. إذن فما صحة هذا الذي يُقال بأن هؤلاء أنفسهم ليسوا سببًا فى النكبات التى أصابتهم؟! هذه النكبات هى شرور كما نفهم نحن. وهناك شرور تتوقف علينا نحن مثل الظلم، الخلاعة، الإنحلال الخلقى، الجُبن، الحسد، القتل، الدسائس وكل ما يترتب عليها من أفعال تلوث النفس التى خُلِقت بحسب صورة الله خالقنا. إن هذه الأفعال تشوه بالطبع جمال النفس.

أيضًا نحن ندعو كل أمر متعب ومحزن لنا شرًا مثل المرض الجسدى، الجروح، حرمان الجسد من الأمور الضرورية، العار أو الفضيحة،

Created in Master PDF Editor

الضرر المالى، فقدان أحد الأقارب. إن هذه الأمور تأتي إلينا من الرب الصالح والحكيم وذلك لفائدتنا. فمثلاً عندما يأخذ اللّه المال من الذين يستخدمونه بطريقة سيئة فإنه يريد أن يُدمر. بهذه الطريقة ـ الأداة التى بها يظلمون الناس. وأحيانًا يتسبب اللّه فى مرض للذين يكون في صالحهم أن تتقيد أعضائهم ويلازموا فراش المرض أفضل من أن يكونوا معافين وأحرارًا فى إرتكاب الخطية. والموت يأتي إلى البشر فى الوقت المناسب أى عندما يصلون الى نهاية حياتهم التى حددها حكم اللّه العادل منذ البداية ، اللّه الذى يرى مسبقًا ما يفيد كل واحد منا. فالمجاعات والسيول هى نكبات مشتركة تأتي على المدن والأمم لكى توقف وتحجم فعل الشر المتفاقم. إذن مثلما نصف الطبيب دائمًا بأنه محسن وكريم حتى لو تسبب فى إيلام الجسد أو النفس (لأنه يحارب المرض وليس المريض) هكذا اللّه هو صالح يدبر الخلاص من خلال محصلة بعض الإجراءات. أيضا نحن لا نتهم الطبيب بأي إتهام عندما يقوم ببتر جزء من أعضاء الجسد أو يكوي آخر بل نعطيه أجرًا وندعوه مُخلِّصًا لأنه يوقف المرض عندما يظهر فى جزء صغير من الجسد قبل أن ينتشر فى كل الجسد. ولكن عندما نرى مدينة تنهار على ساكِنيها بسبب زلزال، أو

سفينة تنكسر وتغرِق فى البحر مع كل ركابها لا نتردد فى التجديف على الله الطبيب الحقيقي والمخلِّص. أننا نعرف جيدًا أنه فى حالة إصابة أحد بأي مرض فإنه يعطي له علاجا مفيدا ليُشفى، ولكن عندما يُصاب بمرض لا يقبل الشفاء تصير الحاجة الى قطع العضو غير القابل للشفاء حتى لا ينتشر المرض فى كل أعضاءه الحية والنشطة. إذن كما أن الطبيب ليس هو السبب فى إجراء الجراحة أو الكي بل المرض نفسه ، هكذا فالخطايا هى التى تسبب دمار المدن وليس الله المنزه عن أى تهمة.

شرح لبعض الآيات التى قد يفهم منها أن الله مصدر للشرور:

" مصور النور وخالق للظلام "

ربما يتسائل أحد : إن كان الله غير مسئول عن الشرور لماذا قال عن نفسه أنه " مصور النور وخالق الظلمة " (إش٤٥ :٧).

إن مَنْ يفهم هذه الآية فِهما صحيحاً لا يمكن أن يتهم الله بأنه مسبب للشرور وهى تعني الآتي:

إن الله الذى قال إنه " مصور النور وخالق الظلمة صانع السلام وخالق الشر أنا الرب صانع كل هذه " يقدم ذاته من خلال هذه الكلمات .

كخالق للخليقة كلها وليس لأي شر. ولكي لا تظن أن هناك آخر هو مسبب للنور وآخر أيضًا مسبب للظلمة، دعى نفسه خالق وصانع كل الأشياء حتى التي تبدو أنها ضد الطبيعة، وذلك حتي لا تطلب خالقاً آخر للنور وخالقاً آخر للمياه، وآخر للهواء وآخر للأرض. والحقيقة أن كثيرين آمنوا بتعدد الآلهه آنذاك إذ رأوا أشياءًا متضادة فيما بينهما (مثل الماء والنار، النور والظلمة، ....) دعونا نفحص الجزء الثانى من الآية.

" صانع السلام وخالق الشر "

"صانع السلام وخالق الشر" . "صانع السلام" تعني أن الله يمنحك الهدوء بالتعليم المستقيم الذى يدخل الهدوء والسكينة إلى عقلك ويُسكِّن الشهوات التى تثور ضد النفس. أما عبارة " خالق الشر " فتعنى أن الله يغير الشر ويشركه فى طبيعة الصلاح. هيا نرى بعض الأمثلة على فعل يخلق: عندما يقول المرنم " قلبا نقيا إخلق فىّ يا الله " (مز٥١:١٠) لا يعنى أنه يطلب من الله أن يخلق له قلبا آخر لكن تعني أنه يطلب من الله أن يجدد قلبه الذى عتق من الشرور ليصير جديدًا.

وأيضًا بولس الرسول يقول "ليخلق من الإثنين إنسانا جديدا" (أف٢:١٥) لا يعنى ان الله يخلق من العدم لكن تجديد الاثنين الموجودين بالفعل.

كذلك عندما يقول: " إن كان أحد فى المسيح فهو خليقة جديدة " (٢كو٥:١٧). وأيضًا عندما يقول موسى النبي: " أليس هو أباك مقتنيك هو عملك. وأنشأك (أى خلقك) " فإنه يعلمنا أنه اللّه خلقك أو أنشأك بعدما عملك أي أن هناك تحسين وتجديد للخليقة. هكذا يصنع اللّه السلام بتغيير الشر وتحويله إلى ما هو حسن. وحتى لو كان السلام فى رأيك هو التحرر من الحروب وحتى لو كنت تعتبر الأمور التى تحدث أثناء الحروب شرورًا مثل حملات الإغارة والهجوم خارج حدود البلاد، والدوريات والسهر المستمر، والتدريبات والمشقات، الجرحى والقتلى وسقوط المدن، والأسر، والسلب والنهب، ومناظر القتلى، وكل الفوضى التى تصاحب الحروب، فإن هذه الأمور قد صارت بحكم اللّه العادل الذى يُعاقب كل الذين يستحقون العقوبة من خلال هذه الحروب. هل ترى إنه يجب الا تحترق سدوم بعد كل هذه الأفعال القبيحة التى إرتكبها سكانها؟ وربما كنت تتمنى ألا تخرب أورشليم ولا ينقض الهيكل بعد كل تلك الاتهامات الباطلة التى تفوه بها اليهود ضد الرب؟! هل هناك طريقة أخري عادلة غير أن تخرب أورشليم بيد الرومان؟ تذكَّر أن اليهود كانوا هم أنفسهم أعداء الحياة إذ سلموا الرب الحياة. هكذا كان ينبغى فى بعض

الأحيان أن تسقط شرور الحروب على هؤلاء الذين يستحقون العقاب.

" أنا أُميت وأنا أحيي "

أما بالنسبة لقوله " أنا أُميت وأنا أحيي " عليك أن تقبل هذه العبارة فى معناها البسيط، لأن المخافة تبني البسطاء. أما عبارة "سحقت وأنا أشقى" فإن السحق أو الجرح ينتج عنه مخافة والشفاء يقود الى المحبة. ويمكنك أن تتأمل هذه الآية تأملاً أسمى من هذا ، فستجد الله كأنه يقول: أنا سوف أميت بالخطية وسوف أحيّ بالفضيلة. لأنه " إن كان إنساننا الخارج يفنى فالداخل يتجدد يوما فيوما" (٢كو٤ :١٦).

إذن الله لا يميت أحدا ويحيي آخر، ولكن هو يحي بالأشياء التى تميت ويشفي بالأمور التى تجرح وينطبق ذلك على المثل الذى يقول: " تضربه أنت بعصا فتنقذ نفسه من الهاوية " (أم٢٣ :١٤) إذًا يجرح الجسد لكى يشفى النفس، يميت الخطية لتحيا الفضيلة.

وبالنسبة لقوله: " لأن شرًا قد نزل من عند الرب الى باب أورشليم " فالآية تشرح نفسها أى شر؟ إنه ضوضاء العربات والفرسان القادمين إليها.

Created in Master PDF Editor

" لا توجد بلية إلا والرب صانعها "

أما عندما تقرأ " لا توجد بلية إلاّ والرب صانعها " فإنه يقصد بهذا الكلام الإشارة الى فعل الألم الذى يحدث للخطاة بغرض إصلاح وتقويم إخطائهم، لأنه يقول بعد ذلك " فأذلك وأجاعك وأطعمك المن الذى لم تكن تعرفه ولا عرفه آباؤك لكى يعلمك أنه ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل ما يخرج من فم الرب يحيا الإنسان" تث ٨: ٣، وذلك لكى يوقف الظلم قبلما ينتشر ويمتد إمتدادا فائقا مثل تيار النهر الذى يوقفونه بسد أو بجدار متين قوى.

الكوارث الطبيعية تحدث لفائدة الإنسان :

الأمراض التى تصيب المدن والأمم، والرياح الجافة والأرض الجرداء العقيمة التى لا تثمر وأيضًا الظروف الأكثر قسوة فى حياة كل واحد توقف زيادة ونمو الشر. هكذا كل أنواع الشرور (الآلام) التى تأتي من اللّه تبعد الانسان عن فعل الشرور الحقيقية. فالعذابات التى يتعرض لها الجسد وكذلك الأمور المؤسفة التى تأتي من خارج الجسد تحدث لكى يبتعد الانسان عن فعل الخطية. إذًا ـ فى الحقيقة ـ اللّه يبعد الشر كما إن الشر لا يأتى من اللّه. لأن الطبيب يشفى المرض لكنه لا يتسبب فى حدوث المرض نفسه. هكذا

دمار المدن والزلازل والفيضانات وإبادة الجيوش وحوادث الغرق وكل أشكال الدمار التى تصيب الإنسان وتأتي سواء من الأرض أو البحر أو الهواء أو النار أو تأتي من أي مكان تحدث لأن اللّه يريد بهذه الضربات الجهارية تهذيب البشر .. أما الشر الحقيقى فهو الخطية، وإرتكابها يتوقف على إرادتنا وهى تُدعى بالحق شرًا، وبإرادتنا نستطيع أن نبتعد عن الشر أو نفعل الشر.

التجارب تخلص الإنسان من الخطايا:

هناك شرور (آلام) تحيط بالإنسان لتظهر مدى شجاعته وإحتماله وصبره، مثلما حدث مع أيوب إذ حرم من أولاده ولحق الدمار بكل ما يملك فى لحظة، وحلت قروح البرص بجسده. وهناك أيضا شرور أخري تحيط بالإنسان لشفائه من الخطايا التى فعلها، مثل داود الذى إستحق العقاب الذى لحق به نتيجة شهوته غير المشروعه.

هكذا تعلمنا كيف أن عدل اللّه ينزل نوعا آخر من العقوبات المخيفة لكى يجعل أولئك الذين ينزلقون بسهولة فى فعل الخطية اكثر تهذيبًا . مثال على ذلك داثان وأبيرام اللذين بلعتهما الأرض عندما " إنشقت الأرض التى تحتهم " (خر١٦:٣١) بهذا العقاب طبعا لم يصيرا فى حالة أفضل (لأنه كيف يحدث هذا طالما نزلا الى الهاوية؟ ولكن

بهذه العقوبة القاسية صار الباقين أكثر تهذيبا. وبهذه الطريق أغرق فرعون مع كل جنودة (خر١٤ :٢٨).

لا تظن عندما قال بولس الرسول مرة " آنية الغضب مهيأة للهلاك " (رو٩ :٢٣) إنه يقصد آنية شريرة (لأنه سوف ينسب بالصواب سبب الشر لعملية التصنيع)، إنما عندما تقرأ كلمة "آنية" فلنفهم أن كل واحد منا صار (خلق) لشيء مفيد " ولكن في بيت كبير ليس آنية من ذهب وفضه فقط بل من خشب وخزف أيضًا وتلك للكرامة وهذه للهوان " (٢ تيمو٢ :٢٠).

الإنسان بمقدوره أن يكون إناء ذهب أي طاهر القلب ونقي فى طرقه، وإناء فضه أي يكون أقل قيمة من الأول، وإناء خزف أي أن له تصرفات أرضية ومعرض للكسر، أو أن يكون إناء من الخشب أي يتلوث بسهولة من فعل الخطية وجدير أن يُلقى فى النار الأبدية ، هكذا عبارة " آنية غضب " أى مثل وعاء فيه طاقة شيطانية تسبب رائحة فساد كريهه وهو غير قابل للاستخدام بل جدير بالفناء والضياع.

لذلك فإن فرعون كان ينبغي أن يهلكه الله الحكيم ومدبر النفوس لكي يعرف للجميع أنه بسبب شره كان غير قابل للشفاء لقد قسى الله

Created in Master PDF Editor

قلبه بتأجيل العقاب فيزداد شرًا ويظهر هكذا حكم الله العادل.

تدرج الله معه بعقوبات صغيرة محاولاً دائمًا أن يلين تصرفه غير المطيع ولكنه إزداد فى احتقار طول أناة الله وإعتاد على المتاعب التى كانت تحل عليه. إذن الله لم يسلمه إلى الموت. لقد أغرق فرعون نفسه بتكبر قلبه وتشامخه، إذ تجرأ فى مقاومة شعب الله وظن أنه يستطيع أن يعبر البحر الأحمر مثلما عبر هذا الشعب.

الشر ليس له جوهر:

حسنًا حيث أنك عرفت أنواع الشرور (الآلام) التى تأتي من الله، وعرفت أن تميزها فى داخلك. وحيث أنك تعرف جيدًا ما هو الشر الحقيقي؟ أي الخطية التى نهايتها الدمار والموت. كذلك تعرف الآن ما هو الأمر الذى يبدو شرًا إذ يؤلمك ولكنك تدرك أن له قوة الصلاح مثل كل الآلام التى تحيط بنا كي نتوقف عن فعل الخطية، وتعرف أن ثمار هذه الآلام هى خلاص نفوسنا الأبدى، عليك إذًا أن تتوقف عن الشعور بالإحباط تجاه خطة الله لك وعليك أيضًا أن تبتعد عن اعتبار الله مسبب للشر، كذلك لا تظن أن الشر له وجود خاص به. لأن الشر ليس شيئًا موجودًا، مثلما نقول ذلك عن حيوان ما (كائن حي ما).

Created in Master PDF Editor

الشر ليس له جوهر، فالشر هو غياب الصلاح. كما أن العمى يحدث نتيجة تلف يصيب العينين، هكذا الشر ليس له وجود خاص لكنه يأتي بعدما تمرض النفس. والشر أيضًا ليس هو غير مولود كما ينادي الفجار (الغنوسيون وغيرهم) جاعلين هكذا طبيعة الصلاح وطبيعة الشر على نفس المستوى فى التقدير. لو أن الكل أتى من الله عندئذ كيف يكون من الممكن أن يأتي الشر من الصلاح؟

فلا السيئ يأتي من الصلاح ولا الشر من الفضيلة. إقرأ فى سفر التكوين عن خلق العالم ستجد أن الكل صار "حسنا" وأيضا "حسنا جدًا" (تك١:٣١). إذًا، الشر لم يُخلق مع الصلاح فى آن واحد. ولم تكن الأرواح المخلوقة ممتزجة بالشرور عندما خلقها الله وأتى بها الى الوجود. لأنه إذا كانت الأجساد المادية لم تكن لها طبيعة شريرة بداخلها فكم بالأولى الأرواح التى تتميز جدًا بالنقاوة والقداسة لم تكن لها وجود مشترك مع الشر؟ لكننا نرى الشر موجود وفعله ظاهر ومنتشر فى كل العالم.

Created in Master PDF Editor

كيف يوجد الشر إن كنا نقول أن ليس له بداية ولا أنه خلق؟

الإجابة تأتى من هؤلاء الذين يفحصون هذه الأمور. فإذا تساءل أحد: كيف تأتى الأمراض؟ من أين يأتى الشلل الجسدى؟ نقول إن المرض ليس هو غير مولود وليس هو خليقة اللّه، لكن الكائنات لها أعضاء تؤدي وظيفتها ولكن عندما يصيبها المرض تتحرف عن أداء مهمتها بحسب طبيعتها. إذ أن هذه الأعضاء تكون قد فقدت عافيتها سواء لقلة التغذية أو لأى سبب آخر. إذن اللّه خلق الجسد وليس المرض. لقد خلق اللّه النفس ولم يخلق الخطية. إنما النفس يمكن أن تقبل الشر لأنها ابتعدت عن حالتها الطبيعية. وإذا تساءل أحد وقال ما هو الخير الذي كان للنفس؟ نقول: كان مكانها بجوار اللّه وكان الخير متمثلاً في الاتحاد بها بواسطة المحبة. ثم سقطت من هذا المكان وعانت من أمراض كثيرة ومتنوعة، لكن إذا تسائل أيضًا وقال: لماذا تقبل النفس فعل الشر؟ نقول: إن نفس الإنسان لها حرية تتناسب مع الكائنات العاقلة. إن نفس الإنسان متحررة من أى قيد وقد منحها اللّه أن تحيا بحرية إذ خُلِقت بحسب صورة اللّه. لقد نالت بالتأكيد الصلاح وتعرف جيدا أن تستمتع بهذا الصلاح، ولديها المقدرة لأن تحفظ حياتها الطبيعية طالما

أنها تظل تستمتع بالروحيات. لكن أيضًا لديها المقدرة أن ترفض الصلاح. وهذا يحدث للنفس عندما تنحاز للجسد بسبب حب اللذات والشهوات حيث أنها تشبع من مباهج العالم فتنفصل عن حب التمتع بالأمور السمائية.

الله لم يخلق الموت ولكن ....

لقد كان أدم فى السماء بالمفهوم الروحي وليس المكاني، وفور أن دبت فيه الحياة ونظر نحو السماء إمتلأ فرحا إذ نظر هذه الأشياء التى رآها. لقد أحب كثيرا الله الكريم حباً قوياً إذ هو الذى منحه حب التمتع بالحياة الأبدية من خلال مباهج الفردوس حيث أعطاه سلطة وسيادة تشبه سلطة وسيادة الملائكة. هذه السيادة جعلته يشترك فى الحضور مع رؤساء الملائكة وأن يكون جديرًا بأن يسمع صوت اللّه. لكن بينما كان فى حماية اللّه متمتعا بخيراته، شعر بشبع (زائف) من هذه الخيرات السمائية وفَضَلَ ما يبهج عينيه الجسدية على الجمال الروحي، وبدلاً من أن يستمتع بالأمور الروحية فَضَلَ أن يملأ بطنه، وللتو وجد نفسه خارج الفردوس، خارج تلك البيئة الطوباوية التى كانت محيطة به. وصار شريراً ليس عن إجبار ولكن عن عدم استنارة. إذًا فهو الذي وقع فى الخطية عن طريق إختياره السيىء

Created in Master PDF Editor

ومات بسبب الخطية " لأن أجرة الخطية هى موت " (رو٦ :٢٣) أي كل مَنْ يبتعد عن الحياة يقترب من الموت، لأن اللّه هو الحياة وغياب الحياة هو موت. هكذا جلب آدم الموت على نفسه وصنعه بابتعاده عن اللّه وفق المكتوب فى المزمور " لأنه هوذا البعداء عنك يبيدون" (مز٧٣ :٢٧) . هكذا ليس اللّه هو الذى خلق الموت لكن نحن الذين جلبناه على أنفسنا بالإرادة الشريرة. لكن اللّه لم يوقف الانحلال الذى يحمله الموت حتى لا يظل المرض بدون نهاية، هذا الأمر مثل شخص لا يقبل أن يضع إناء مكسور من الخزف فى النار لكى يأخذ الشكل النهائى قبلما يصلح الخطأ بإعادة تصنيعه من جديد.

لماذا لم يمنحنا اللّه طبيعة لا تميل للخطية:

قد يتسائل أحد أيضا لماذا لا تكون لنا طبيعة لا ترتكب الخطية حتى إذا أردنا أن نفعل الخطية، فلا نجد فى طبيعتنا إمكانية لفعلها؟ إننى أقول لك: أنت لا تعتبر العبيد المجبرين على أداء خدماتك أحباءًا لك، بينما عندما تراهم باختيارهم وبإرادتهم ينفذون واجباتهم تعتبرهم أحباءًا لك. هكذا بالنسبة للّه فهو لا يحب أن يُنفذ أمره عن إجبار بل يحب ذاك الذى بحرية يتوق الى فعل الخير وإكتساب الفضائل. والفضيلة تتحقق

بالإرادة الحرة وليس بالإجبار. والإرادة الحرة أيضًا تتوقف على مدى استعدادنا الداخلي. وهذا الاستعداد هو الحرية الداخلية. إذًا فإن مَنْ يشكو الى الله لأنه لم يمنحنا طبيعة غير قابلة لفعل الخطية، هو الذى لا يفضل لنفسه شيئا آخر إلاّ الطبيعة غير العاقلة محتقرًا بذلك طبيعته العاقلة.

فالطبيعة الأولى تأمر بألا تفعل شيئا، أما الثانية فلديها هذا الاستعداد الداخلى والحرية التى تتوقف دائما على الخبرة والفعل.

هذه الأمور بالرغم من أنها أبعدتنا عن الموضوع إلاّ أننا قد تحدثنا عنها للضرورة حتى لا تقع فى هوّة الأفكار، وفى غمرة غياب القيّم تحرم نفسك من الله. إذن ليتنا نتوقف عن تقييم أعمال الله الحكيم. وإن غابت عنا مقاصد خططه فيا ليت توجد داخل نفوسنا عقيدة واحدة وهى أن الله الصالح لا يصدر عنه أى شرٍ.

الشيطان لم يصر مضادا للصلاح بطبيعته:

نتناول أيضًا موضوع يتعلق بهذه الأمور التى فحصناها وهو الشيطان. ربما يتساءل أحد: إن كانت الشرور لا تأتي من الله فمن أين أتى الشيطان إذًا؟ حسنًا، ماذا نقول عن هذا؟

يكفي أن نجيب عن ذلك بنفس الإجابة التى

Created in Master PDF Editor

أعطيناها عن الشر البشري. بمعنى، كيف صار الانسان شريرًا ؟ أقول من استعداده الشخصي. أيضا على نفس المنوال: كيف صار الشيطان شريرًا؟ نفس الإجابة، كان الشيطان لديه حرية، كان بمقدرته أن يظل بالقرب من الله أو يتغرب عن الله الصالح.

غبريال كان ملاكا يقف دائما بالقرب من الله والشيطان أيضًا كان ملاكًا لكنه سقط من رتبته. إرادة الملاك غبريال هي التى حفظته فى السماء، أما بالنسبة للشيطان فإن إختياره الحر هو الذى ألقى به الى أسفل. وبكل تأكيد كان بمقدور الملاك غبريال أن ينشق عن الله وكذلك كان بمقدور الشيطان ألا يسقط. لكن محبة غبريال الملاك لله هى التي حفظته، بينما إبتعاد الشيطان عن الله جعله مطرودًا.

إذًا الشر هو الاغتراب والابتعاد عن الله. بالتفاته صغيرة من العين تجعلنا نكون تجاه الشمس أو تجاه ظل جسدنا. فالاستنارة والنور هما نصيب من نظر الى فوق أما الظلام فهو مصير ذلك الذي يلتفت نحو الظلال. هكذا فإن الشيطان صار شريرًا بارادته، ولم يصر مضادا للصلاح بطبيعته.

ولكن لماذا يحاربنا نحن البشر؟

لأن أي وعاء يحتوي على الشر يقبل أي مرض مثل الحسد، فالشيطان هذا الوعاء المملوء بالشر قد حسدنا من أجل المكانة التى منحها الله لنا. لم يطق أن نحيا فى الفردوس بدون حزن. لذا خدع الانسان بالدسائس والمكائد وانتهز فرصة اشتياق الانسان لأن يتشبه بالله فخدعه وأظهر له بهجة الشجرة ووعده بأنه إذا أكل من ثمرتها سوف يصير مثل الله " يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر " (تك٣:٥). لم يُخلق هذا الملاك "الشيطان" لكي يكون عدوًا لنا ولكنه من جراء الحسد إنتهى إلى هذه الحالة صائرًا عدوا لنا. وإذ رأى نفسه قد سقط من مكانة الملائكة فلم يستطع أن يرى الانسان الأرضي يرتفع مترقيا نحو رتبة الملائكة.

إذن، بسبب أن الشيطان صار عدوا لنا، وضع الله فى داخلنا عداوة ضده، وهذا نفهمه من وعد الله للحية التى كانت تخدم الشيطان، إذ قال لها " وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها " (تك٣:١٥) لأنه حقا المصالحة مع الشر مؤذية جدا. لأن هذا هو ناموس الصداقة:

يؤثر الواحد فى الآخر ويصيران ذات طبيعة متشابهه. وهذا يعبر عنه بالصواب ما هو مكتوب:

Created in Master PDF Editor

"المعاشرات الرديئة تفسد الأخلاق الجيدة" (١كو١٥ :٣٣).

لأنه كما أن الهواء الموجود فى الأماكن الملوثة بالأمراض ينقل الأمراض خفية لمن يتنفسه، هكذا إعتياد فعل الشرور ينشيء فى النفس شرورا عظيمة حتى لو كان الضرر لا يحدث بطريقة مباشرة. لذلك لا مصالحة بيننا وبين الحية بل عداوة دائمة وإن كانت الأداة (الحية التى استخدمها الشيطان) تستحق مثل هذه العداوة فكم وكم العداوة التى تتناسب مع ذاك الذى كان السبب (الشيطان) ؟! وقد يتساءل البعض: هل كان لابد أن توجد الشجرة فى الفردوس حيث إنطلق منها الشيطان ليفعل فعلته ضدنا؟ وأنا أتساءل أيضا:

إن لم يكن لديه طعم الخداع كيف كان سيقودنا بالعصيان الى الموت؟ لقد وجدت الشجرة لأنه كان ينبغى أن توجد الوصية التى بها يتم اختبار طاعتنا لله. كان لابد أن توجد شجرة تحمل ثمارًا شهية، حتى اذا تجنبنا هذه الثمرة وأظهرنا انضباطنا نستحق أن نأخذ حقا إكليل الصبر والرجاء.

لم ينتج عن الأكل من الشجرة المحرمة عصيان الوصية فقط بل أيضًا معرفة العُري الجسدي لأنه

Created in Master PDF Editor

مكتوب: " فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان " (تك٣:٧). كان ينبغي للانسان ألا يعرف العُري الجسدي حتى لا ينشغل عقل الانسان بتعويض جسده المكشوف عن طريق صنع الملابس، وأيضًا حتى لا يتلذذ الانسان بمنظر العري، وعلى أية حال فان الإعتناء الزائد بالجسد يجعلنا ننفصل عن اللّه بدلاً من أن نتجه دائما نحوه. ولكننى أتساءل: لماذا لم تصنع الملابس فى نفس الوقت الذى خُلِق فيه الانسان؟ أقول: لم تُصنع الملابس لأنه لم يكن هناك داع لوجود ملابس طبيعية فى الكائن الحي. لأن الملابس الطبيعية هى شيئ يتميز به الحيوانات غير العاقلة مثل الأجنحة والشعر والجلود السميكة التى تساعد الحيوانات على تحمل برد الشتاء وقيظ الصيف. وبالنسبة للحيوانات لا يختلف الواحد عن الآخر فى شيء لأن الجميع لهم طبيعة متساوية. أما بالنسبة للانسان فهو ينال عطايا مختلفة قياساً بالمحبة التى يتمتع بها تجاه اللّه.

إذًا كان يجب على الانسان تجنب الاهتمامات الجسدية إذ هي ضارة، لذلك فإن الرب عندما دعانا ثانية الى حياة الفردوس أوصانا أن نقتلع من نفوسنا هذه الاهتمامات قائلا لنا: "لا تهتموا بحياتكم بما تأكلون وبما تشربون. ولا

لأجسادكم بما تلبسون أليست الحياة أفضل من الطعام والجسد أفضل من اللباس " (مت٦ :٢٥).

إذًا لم يكن ينبغي للانسان أن تكون له أغطية طبيعية ولا حتى صناعية، إذ كان معدًا له نوعا آخر من الأغطية إذا مارس الفضيلة. هذه الأغطية التى كانت لابد أن تغطي الانسان بنعمة اللّٰه هى تلك التى يرتديها الملائكة، تلك الملابس المنيرة التى تفوق جمال الزهور، ولمعان وبهاء النجوم. لذا لم تُعطى له الملابس مباشرة بعد خلقته، إذ كانت معدة له كمكافأة له إذا مارس الفضيلة، والحقيقة كان فى يده أن يأخذها لكن للأسف بسبب تأثير الشيطان لم يستطع أن ينالها. إذًا عدونا هو الشيطان الذى تسبب فى سقوطنا لذا حدد لنا اللّٰه أن نجاهد ضد الشيطان حتى أننا بالطاعة نستطيع أن نتوج مرة ثانية بانتصارنا على الشيطان. ياليته لم يصر شيطانا وظل فى مكانه الذى حدده له اللّٰه مدبر الكون.

وبسبب أن الشيطان صار عاصيا بالفعل وعدواً للّٰه وعدواً للبشر الذين خُلقوا بحسب صورة اللّٰه لذلك فهو يمقت الانسان ويحارب اللّٰه إنه يكرهنا لأننا مِلك اللّٰه وأيضا لاننا خُلِقنا بحسب صورة اللّٰه. إستخدم اللّٰه - الذى يضبط كل الأشياء بحكمته - خداع الشيطان كوسيلة لكي

Created in Master PDF Editor

تتدرب نفوسنا، مثل الطبيب الذى يستخدم سُم الحية فى صنع الدواء الشافى.

انحصار سيادة الشيطان بآلام مخلصنا الصالح:

حسنًا مَنْ هو الشيطان؟ وما هى مكانته ورتبته؟

أيضا لماذا سُمي شيطان؟ يطلق عليه إسم شيطان لأنه مقاوم للصلاح. وهذه الكلمة العبرية شيطان" تعلمناها من سفر الملوك: "وأقام الرب خصما لسليمان هدد الأدومى" (١مل١١:١٤). يطلق على الشيطان إسم "ديافلوس" لأنه صار هو نفسه معاون فى فعل الخطية ثم يشتكى أيضا علينا، لأنه يفرح لهلاكنا ويقودنا لفعل الأعمال الشريرة. طبيعة الشيطان غير جسدية كما قال بولس الرسول: " فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر مع أجناد الشر الروحية فى السماويات " (أف٦:١٢) وله رتبة ذات سيادة، لأنه يقول: " مع الرؤساء مع السلاطين ولاة هذا العالم على ظلمة هذا الدهر ". ومكان سلطته هى المجال الهوائي كما يقول لنا بولس الرسول: "حسب دهر هذا العالم حسب رئيس سلطان الهواء الروح الذى يعمل الآن فى أبناء المعصية"

(أف٢:٢) ويدعوه " برئيس هذا العالم " لأن سلطته هى حول الأرض. والرب يقول هكذا: "الآن دينونة هذا العالم الآن يطرح رئيس هذا العالم خارجا" (يو١٢:٣١) وأيضا يقول الرب: "رئيس هذا العالم يأتي وليس له فىّ شئ" (يو١٤:٣٠).

لكن بمناسبة أننا تكلمنا عن جنود الشيطان: "أجناد الشر الروحية فى السموات" (أف٦:١٢)، علينا أن نوضح تسمية السموات الواردة فى هذه الآية. ينبغى علينا أن نعرف أن الكتاب المقدس يعتاد أن يسمى الهواء بالسماء، على سبيل المثال تعبير: "طيور السماء" (مت٦:٢٦)، و"يصعدون الى السموات" (مز١٠٧:٢٦). أى يرتفعون عاليا فى الهواء. لذلك رأى الرب: "الشيطان ساقطا مثل البرق من السماء. ها أنا أعطيكم سلطانا أن تدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو" (لو١٠:١٨-١٩).

ولكن يسوع المسيح المخلص كرز لنا بملكوت السموات بعدما إنحصرت سيادة الشيطان الشريرة حول الأرض. هذا الانحصار للسيادة الشريرة هذه قد تم بفضل آلام المخلص الذى صالح الأرضيين مع السمائيين (كو٢٠:٢٠). لذا نرى يوحنا المعمدان يقول: "إقترب ملكوت السموات" (مت٣:٢)، والرب نفسه كرز فى كل مكان بإنجيل الملكوت. وقبل ذلك كرزت الملائكة قائلة: "المجد

Created in Master PDF Editor

للّه فى الأعالي وعلى الأرض السلام" (لو٢: ١٤)، وأيضًا الملائكة المملئون بالفرح بدخول ربنا الى أورشليم كرزوا قائلين: إن أصواتنا المنتصرة هى التى سوف تهتف بالانكسار الكامل للعدو الذى سيحدث فى السماء حيث لاجهاد ولاصراع يتبقى لنا هناك. ولن يوجد أى أحد يقاومنا ويحاول إخراجنا من الحياة الطوباوية، لأننا سوف نستمتع بالميراث السمائى المُعَّد لنا مستمتعين دائما بثمار شجرة الحياة التى لم نستطع أن نتمتع بها بسبب مكيدة الحية، إذ مكتوب: "فطرد الإنسان وأقام شرقى جنه عدن الكروبيم ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة" (تك٣: ٢٤) لكننا سنمر بدون عائق لندخل ونستمتع بالخيرات الأبدية بمعونة ربنا يسوع المسيح الذى له المجد والقوة من الآن وإلى أبد الآبدين آمين.

Created in Master PDF Editor

Created in Master PDF Editor

إن نفس الإنسان متحررة من أى قيد وقد منحها الله أن تحيا بحرية إذ خُلِقت بحسب صورة الله. لقد نالت بالتأكيد الصلاح وتعرف جيدا أن تستمتع بهذا الصلاح، ولديها المقدرة لأن تحفظ حياتها الطبيعية طالما أنها تظل تستمتع بالروحيات. لكن أيضًا لديها المقدرة أن ترفض الصلاح. وهذا يحدث للنفس عندما تنحاز للجسد بسبب حب اللذات والشهوات حيث أنها تشبع من مباهج العالم فتنفصل عن حب التمتع بالأمور السمائية.

القديس باسليوس الكبير

يُطلب هذا الكتاب من :

- جذور للتوزيع تليفون: ٢٦٣٣ ٨١٣٧
- georgeibrahim2257@yahoo.com

سعر النسخة
٥,٠٠ جنيه

Created in Master PDF Editor